دراسة نقدية لأدلة اصطفاء «آل عمران» من المنظور القرآني بالتركيز على اصطفاء مريم وعيسى (ع)

أ.م داود إسماعيلي (*)
أ.م على بنائيان أصفهاني (*)

الكلمات المفتاحية: السيدة مريم (ع)، النبي عيسى (ع)، الاصطفاء، الأفضلية

المقدمة

إن القصص القرآنية والأحداث المتعلقة بالأشخاص في كل قصة تُعَدُّ من الاهتمامات الأساسية للمفسرين وباحثي القرآن منذ القديم اذ يمكن لنا أن نقول: إن تحليل القصص القرآنية وجمع الآيات المختلفة لقصة وتنظيمها وتنسيقها مشهود في أكثر المصادر التفسيرية وبالطبع، إن للمقاربات والاتّجاهات التفسيرية لمفسري القرآن تأثيرًا واضحًا في تحليل هذه القصص، اذ أكمل البعض منهم الفقرات المفقودة من القصص حسب الروايات وأضافوها إلى تفاصيلها، والآخرون وقفوا عند دلالة الآيات بنقد آراء المفسرين ولم يتجاوزوها، لذا أدّت هذه الفرضيات والمقاربات والاتجاهات المختلفة إلى عرض التفسيرات المختلفة عن الأشخاص المذكورين في القصص القرآنية وأن تفضّل التفاسير المعاصرة ـ برغم التنوع في الرؤى ـ رؤية على أخرى ضوء الإشارة إلى اختلاف المتقدمين أو عدم الإشارة إليه. وكذلك هناك بحوث ودراسات كثيرة تمَّ تأليفها في مجال تحليل القصص القرآنية مما يدلُّ على اهتمام باحثي التفسير بهذا الموضوع.

من هذا المنطلق، قد تطرقت هذه الدراسة إلى تحليل قصة السيدة مريم (ع) وابنها المسيح (ع) في القرآن مرتكزة على الآيات المرتبطة بها من سورة آل‌عمران. والجدير بالذكر أن هذه السورة من أول السور المدنية التي يتعلق جزء لا يستهان به من آياتها (من الآية الـ١٩ إلى الآية الـ١٢٠) بسلوكيات أهل الكتاب وعقائدهم، وفي الآيات

(*) جامعة أصفهان / ايران d.esmaely@theo.ui.ac.ir
(*) جامعة أصفهان / ايران a.banaeian@theo.ui.ac.ir

الأولى (مـن الآية الـ١٩ إلى الآيـة الـ٣٢)، تم تبيين واجبات المؤمنين تجاههم ضوء الإشارة إلى عقائدهم الباطلة ثمّ في الآية الـ٣٣ إلى الآية الـ٦٣ تم التطرق إلى العقائد السـائدة عن النبي عيسى (ع) والانتقاد منها. ثم تمّ تبيين مؤامرات أهل الكتاب ضد المسـلمين وواجبات المؤمنين في مكافحة هذه المؤامرات في الآيات الباقية إلى الآية الـ١٢٠. ولذلـك يمكن القول بأن الاهتمام بهـذه الآيات من سـورة آل‌عمـران يلعب دورًا هامًّا في المعرفة بصفات النبيّ عيسى(ع)، وإن كان اسـتنتاج الرؤية القرآنية عن النبي عيسـى (ع) يحتاج إلى تحليل آيات السور الأخرى مثل سور مريم والزخرف و... .

بمـا أنّ الكلمـة المفتاحيـة لآيـات سـورة آل‌عمـران في تعريف النبي عيسـى (ع) وأمّه السـيدة مريـم (ع) هي «اصطفـاء آل‌عمران» في الآيـة الـ٣٣ و«اصطفـاء السـيدة مريم» فـي الآية الـ٤٢، تمّ السـعي وراء تبيين الآيات المتعلقـة بـ«آل‌عمران» و«السـيدة مريم (ع)» و«النبـي المسـيح (ع)»، بالإضافـة إلى تبيين مفهوم «الاصطفاء» في الاسـتعمالات القرآنية المختلفة.

مـن الجدير بالذكر أنه لم نعثر على دراسـة مسـتقلة متمحورة عـن مفهـوم «الاصطفاء» فـي تحليل وتبيين شـخصية السـيدة مريم (ع) وشخصية النبي المسيح (ع)، واكتفى المفسرون في تحليلاتهم بالدلالات الظاهرية للآيات فقط.

المبحث الأول: ذكر المسيح بن مريم (ع) في القرآن.

النبي أو عيسى بن مريم (ع) هو الرابع من الأنبيـاء أولي العزم، والذي تمت الإشـارة إليه في خمس عشـرة سورة وثلاث وتسعين آية من القـرآن الكريم، وذكره القرآن بأسـماء مختلفة نحو «المسـيح» (النسـاء: ١٥٧ و١٧١و...)، و«الرسـول» (آل‌عمـران: ٤٩، والنسـاء: ١٥٧)، و«كلمته» أي كلمة الله (النساء: ١٧١)، و«روح منه» أي روح الله (النساء: ١٧١). ولد النبي عيسـى (ع)٦٢٢ سنة قبل الهجرة النبوية وبمـا أنه لـم يكن لأمـه زوج، عدَ المسـلمون ولادته من المعجزات الإلهية، وعده المسيحيون «تجسد كلمة الله» و«الشخص أو الأقنوم الثاني مـن الأقانيم الثلاثة» أو ابن الله[1]، وذلك اعتقاد أنكـره القـرآن الكريـم بصراحة وعـده كفرًا (النساء: ١٧١؛ والمائدة: ١٧ و٧٢).

برغـم أنه تم ذكر تفاصيل حيـاة أنبياء مثل يوسـف (ع) وموسـى (ع) في القرآن الكريم، لكن بالنظـر إلى جميع الآيـات المتعلقة بالنبي عيسى (ع)، يبدو أنه لم تذكر في القرآن تفاصيل حياة المسيح (ع) برغم الإشارات الكثيرة إليه، وذكـر القرآن مجـرد قضايا ملفتـة للنظر لدى المسيحين، تمّ هذا الذكر بشكلين دائماً:

الشكل الأول: الآيات الانتقادية:

المراد بالآيات الانتقادية آيات تنتقد وترفض العقائد والأفكار السـائدة عن المسـيح (ع) في عصر النزول المدني، وتقارب العقائد السـائدة عن المسـيح (ع) مقاربة سـلبية، كهذه الآيات: {.. وَلا تَقُولُـوا ثَلاثَـةٌ انْتَهُوا خَيْـراً لَكُمْ إِنَّمَا اللهُ

إلــهٌ واحِـدٌ سُـبْحانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ...} سـورة النسـاء الآية ١٧١، و«لَقَدْ كَفَرَ الَّذينَ قالُوا إِنَّ اللهَ هُـوَ الْمَسـيحُ ابْنُ مَرْيَـمَ ...» سـورة المائدة الآية ١٧ و٧٢)، و {لَقَـدْ كَفَـرَ الَّذينَ قالُـوا إِنَّ اللهَ ثالِثُ ثَلاثَـةٍ...} سـورة المائـدة الآيـة ٧٣، و {وَقالَتِ الْيَهُـودُ عُزَيْرٌ ابْـنُ اللهِ وَقالَتِ النَّصارى الْمَسـيحُ ابْنُ اللهِ ذلِكَ قَوْلُهُـمْ بِأَفْواهِهِمْ يُضاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذينَ كَفَـرُوا مِـنْ قَبْلُ قاتَلَهُـمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُون} سـورة التوبـة الآية ٣٠، وهي آيـات يمكن اعتبارها من الآيـات الانتقاديـة. كما نشـاهد، في هـذه الآيات تم طـرح وإنـكار عقائد مثل «ألوهية المسـيح» و«بنوّتـه لله سـبحانه» و«كونـه ثالـث ثلاثة». بالطبـع يمكن أن يقال: إن هذه العبارات المختلفة لا يتعـارض بعضها مع بعض في الظاهر ولكلّها قابليـة المطابقـة على عقيـدة التثليـث، لذا يمكن تأويـل الآيـة الـ٣٠ من سـورة التوبـة وتبريرها لغـة وحمل «بنوّته لله» علـى ضرب من المجاز والتفخيم؛ لأنّ الله سـبحانه بعد تقرير أقوال اليهود في عُزَير (ع) وأقوال النصارى في المسـيح (ع) يقول: {ذلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْواهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} سورة التوبة الآيـة ٣٠. نحن نعلـم أن اليهود لا يعتبرون عُزَيرًا (ع)ابن الله في الحقيقة، ولكن بسبب وجود الكفر في هـذه العبارة، اعترض الله سـبحانه عليه، لذا علـى النصارى أيضـاً أن لا يسـتعملوا مثل هذه العبارة لتشـابهها بأقوال الكافرين وعدها انحرافًا لذا نشاهد أنه تعالى يقول: جعل اليهود والنصارى أحبارهـم ورهبانهـم في مقام الربوبيـة وأطاعوا أوامرهم، كما جعل النصارى عيسى (ع) في مقام الربوبية: {اتَّخَذُوا أَحْبارَهُـمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسـيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَما أُمِرُوا إِلّا لِيَعْبُدُوا إِلهاً واحِداً لا إِلهَ إِلَّا هُوَ سُـبْحانَهُ عَمَّا يُشْـرِكُونَ} سورة التوبة الآية ٣١.

ونظـرًا إلى أنّ التثليث والاعتراف بالمسـيح (ع) كثالـث ثلاثة، تعد من أهمّ العقائد المسـيحية عـن عيسـى (ع) وتعـارض التوحيـد والعقائـد الإسـلامية، رفضها وأنكرها القـرآن الكريم في صـور متنوعـة وعبـارات متفاوتة، فتـمّ اعتبار التثليث كفرًا بصراحة في الآية الـ٧٣ من سـورة المائدة واحتسـاب الاعتقاد بألوهية المسيح شركًا في بعـض الآيات مما يؤدي الحرمـان من الجنة والخلـود في جهنّـم: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذيـنَ قالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقالَ الْمَسيحُ يا بَني إِسْرائيلَ اعْبُـدُوا اللهَ رَبِّـي وَرَبَّكُـمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْـرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَـرَّمَ اللهُ عَلَيْـهِ الْجَنَّةَ وَمَأْواهُ النَّـارُ وَما لِلظّالِمينَ مِـنْ أَنْصار} سـورة المائـدة الآيـة ٧٢. وقد ذكر في بعـض الآيات أنّ عيسـى (ع)مؤيّد بروح القدس: {...وَآتَيْنا عيسَـى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ وَأَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُـدُس...} سـورة البقـرة الآيـة ٨٧ و٢٥٣، و {...إِذْ قـالَ اللهُ يا عيسَـى ابْنَ مَرْيَـمَ اذْكُرْ نِعْمَتـي عَلَيْكَ وَعَلـى والِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ...} سـورة المائـدة: الآية ١١٠. وعلى ذلـك، يجب أن يقال: إن من تعـرض لتأييد روح القـدس، لا يمكن أن يكـون له شـأن الألوهية فقـط، بل بمـا أنّ روح القدس نفسـها عبدٌ من عباد الله بوصفها واحدة من الملائكة: {لَنْ يَسْـتَنْكِفَ الْمَسيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلهِ وَلَا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْـتَنْكِفْ عَنْ عِبادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَميعاً} سورة النساء الآية ١٧٢، فمثل هذا الشـخص عبد من عباد الله ومؤيد بتأييداتـه. وكذلـك تنزه الله تعالى مـن اتخاذ الولد مطلقًـا في بعض الآيـات: {وَقالُوا اتَّخَـذَ اللهُ وَلَداً سُـبْحانَهُ بَلْ لَهُ ما فِي السَّـماواتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ} سـورة البقرة الآية ١١٦و {وَقالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمـنُ وَلَداً سُـبْحانَهُ بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ} سـورة الأنبيـاء الآيـة ٢٦. يشـمل إطلاق هـذه الآيات نفي

اتخاذه تعالى الولد من الملائكة وبني آدم كليهما ويمكن الاستفادة من مضامينها كنقد لعقيدة المسيحيين.

قد ذكر اسم «عيسى» ٢٥ مرة[٢] واسم «المسيح» ١١ مرة [٣] واسم «مريم» ٣١ مرة[٤] في الآيات المتربطة بهما(ع) ومن هذه الأسماء نشاهد عبارة «عيسى بن مريم» ١٦ مرة، وعبارة «المسيح بن مريم» خمس مرات، وعبارة «المسيح عيسى بن مريم» ثلاث مرات. وعلى ذلك، قد ذكر اسم المسيح مع اسم أمه وتم تقديمه كـ«ابن مريم» في أكثر الحالات، وكذلك في الحالات التي استعمل اسم «مريم» في الآيات، يصاحب مع اسم ابنها إلا في عشر حالات والمقصود فيها شخصها. أما في بقية الحالات، فقد ذكر اسمها عند ذكر اسم ابنها كما مرّ، ومن ثم يمكن أن نستنتج إن ذكر اسم عيسى (ع) يتضمن دفع شبهة النصارى في ألوهية عيسى (ع) والاعتقاد بالتثليث، فضلا عن ذلك، تم التأكيد على بنوّة المسيح (ع) لمريم ليدلّ على مخلوقية عيسى (ع)وإنسانيته الطبيعية، لا نشاهد مثل هذه الاستعمالات والعبارات فيما يتعلق بأحد من الشخصيات القرآنية.

فضلاً عن ما سبق ذكره، إن التأكيد على عبودية المسيح (ع){إِنَّ اللهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ} ، سورة الزخرف الآية الـ٦٤، تدل أيضًا على اهتمام القرآن بالتوحيد وإنكار العقائد المعارضة له، وكذلك بجانب هذه الحالات السابقة، يمكن القول: إن الله عزّ وجلّ قد أكّد على التوحيد في السور القرآنية الأخرى، كسورة الإخلاص والآيات القرآنية الأخرى من السور الأخرى، وأنكر ورفض كل عقيدة تنتهي إلى الشرك ونفي التوحيد، لذا إن الآيات المتعددة التي تدلّ على التوحيد في القرآن، تنفي أيضًا بدلالتها الالتزامية التثليثَ وسموّ المسيح (ع) فوق مكانته الإنسانية.

وقد أنكر بعض الدارسين سموّ عيسى (ع) فوق وجوده الإنساني بالنظر إلى أن اسمه كان المسيح من البداية ويعتقدون أنه لا يعتبر تكاملًا كلاميًّا؛ لأنّ اسم المسيح قد أطلق عليه منذ الولادة: {إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ...} سورة آل‌عمران الآية ٤٥. فذكر اسم المسيح في القرآن يدلّ على أنّ عيسى (ع) يتعلّق بسلالة الأنبياء الكبار الذين أرسلهم الله تعالى إلى هداية الإنسان ويختتم هذا الخط السامي الذي يشمل عيسى (ع) برسالة نبي الإسلام (ص). وبذلك، إن عيسى (ع)إنسان طبيعي كما أن جميع الأنبياء هكذا، لذا يرفض القرآن نظرية الكتاب المقدس والمفهوم العقيدي للمسيحية وهو بنوّة المسيح لله.[٥]

فمن الجدير بالذكر أنّ التثليث لم يكن له مكانة لدى المسيحيين الأوائل على وفق بعض الشواهد منها عقائد المسيحيين المتأخرين. لذا كما صرّح بعض الباحثين، إنَّ أقدم الفرق المسيحية التي كانت تسمّى بـ«الأبيين» ويعدون من الموحدين الأوائل، يعدّون عيسى (ع) رسول الله فقط، ويقصرون مقام الألوهية على الذات المقدسة الإلهية، إن الرسائل المتعددة التي كانت في متناول الناس في القرون الأولى، غالباً ما تعد عيسى (ع) رسولاً كالرسل الآخرين والله إلهًا واحدًا، والنقطة المهمة أنّ عيسى (ع) يذكر كرسول ونبيّ في هذه الرسائل المهجورة، لا كربّ وإله خالق[٦].

والنقطة الأخرى أنّ اليهود صلبوا المسيح وفق النصوص التاريخية وعقائد أهل الكتاب [٧]. أما في القرآن، فقد تم إنكار هذه العقيدة بصراحة وأكّد القرآن أنّ أعداء المسيح لم يفشلوا في قتله وصلبه فقط، بل اشتبه عليهم الأمر ورفع الله المسيح إليه: {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسيحَ عيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَما قَتَلُوهُ وَما صَلَبُوهُ وَلكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذينَ اخْتَلَفُوا فيهِ لَفي شَكٍّ مِنْهُ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّباعَ الظَّنِّ وَما قَتَلُوهُ يَقيناً * بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكانَ اللهُ عَزيزاً حَكيماً} سورة النساء الآية ١٥٨، و{إِذْ قالَ اللهُ يا عيسى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذينَ كَفَرُوا وَجاعِلُ الَّذينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذينَ كَفَرُوا إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فيما كُنْتُمْ فيهِ تَخْتَلِفُونَ} سورة آل‌عمران الآية ٥٥، بالطبع يمكن أن يقال: إن قصة صلب عيسى (ع)أو عدم صلبه لا يرتبط بشخصيته وذلك مجرد عقيدة نقلت عن اليهود بخصوص مصيره وانتشرت فأنكرها الله تعالى. ولكن بالنظر إلى أن عيسى (ع) له شخصية إلهية ويعد من الأنبياء العظام، فالقرآن أصلح هذه العقيدة الباطلة عنه من جهة ومن جهة أخرى أشار إلى ميزته لاسيما بين الأنبياء الإلهيين بذكر رفعه إلى الله وحفظ حياته.

الشكل الثاني: الآيات الإثباتية :

المراد بهذه الآيات آيات تبيّن شخصية المسيح الواقعية (ع) وتذكر ميزاته وصفاته. يعد القرآن المسيح مثل آدم (ع) في الخلق: {إِنَّ مَثَلَ عيسى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُون} سورة آل‌عمران الآية ٥٩، والذي يعيش كباقي بني آدم: {مَا الْمَسيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كانا يَأْكُلانِ الطَّعامَ ...} سورة المائدة الآية ٧٥، وكان نبيًّا منذ الولادة وبشّر الناس بالكتاب السماوي: {قالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتانِيَ الْكِتابَ وَجَعَلَني نَبِيًّا} سورة مريم الآية ٣٠، وكان من أنبياء بني إسرائيل وبشّر بمعجزات متعددة: {وَرَسُولاً إِلى بَني إِسْرائيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتى بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَما تَدَّخِرُونَ في بُيُوتِكُمْ إِنَّ في ذلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنين} سورة آل‌عمران٤٩ [٨].

وفي الوقت نفسه هو إعجاز إلهي في الخلقة وكلمة الله وروح الله: {...إِنَّمَا الْمَسيحُ عيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْه ...}سورة النساء الآية ١٧١، وهذه الصفات والميزات عُبرت عنها بالجمل الإنشائية الحصرية تارة وتارة أخرى بالجمل الإخبارية غير الحصرية. على سبيل المثال، ذكرت ميزتا المسيح (كونه رسول الله وكلمة الله، أي كلمة ألقاها إلى مريم (ع)) بأسلوب الحصر في الآية الـ١٧١ من سورة النساء، لكن علمًا بأنّ للمسيح (ع) صفات وميزات أخرى، فهذا الحصر في الآية حصر إضافي لذا ينفي من عيسى (ع) الصفات والميزات الباطلة.

لذا، إن فحوى هذه الآيات يماثل فحوى الآيات الانتقادية ويرفض العقائد المعارضة بالإجمال. بعبارة أخرى، برغم أنّ هذه الآيات إثباتية وتهدف إثبات ميزات وصفات كالرسالة والكلمة لعيسى (ع)، ولكن تنفي الغلوّ والصفات الباطلة عنه، كالألوهية والبنوّة لله أو ثالث ثلاثة. لذا يمكن أن يقال: إن مضمون هذه الآيات يعادل الآيات

النافية للتثليث، وكذلك صفة الرسالة للمسيح من الصفات التي يشتركه باقي الأنبياء الإلهية فيها، وإن تختلف الميزات والمعجزات من رسول ونبيّ إلى رسول ونبيّ آخر، يمكن عد الآية التي تشبّه المسيح (ع) بآدم أيضاً مماثلة للآيات الانتقادية؛ لأنّ ولادة عيسى من أمّ لم يكن لها زوج أدّت إلى توهُّم صفات غالية له.

بعد المراجعة العامة للآيات المرتبطة بشخصية عيسى (ع)، سنسعى في هذه الدراسة وراء تبيين شخصيته في الإطار المفهومي لمصطلح «الاصطفاء» فيما يأتي؛ لأنّ عبارة «آل‌عمران» تشمل عيسى (ع) أيضًا في: {إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ} سورة آل‌عمران الآية ٣٣ ، ومن ثَمّ، تمّت الإشارة إلى ولادة مريم (ع) في الآيات الـ٣٥ إلى الـ٣٧ [٩].

بعد الآيات الـ٣٨ إلى الـ٤٨ التي تناولت دعاء زكريا، ذكر القرآن حوار الملائكة مع مريم (ع) إلى الآية الـ٦٣، ثمّ ذكر موضوع عيسى (ع) بالتفصيل.

المبحث الثاني: مفهوم كلمة «الاصطفاء».

«الاصطفاء» مصدر باب الافتعال من مادة «صفو»، وتبدّلت فيه تاء الافتعال إلى «الطاء» وفق القواعد الصرفية، و«الصفو» تدلّ لغةً على خلوص الشيء من الاختلاط والمزج بالغير [١٠].

ولذلك، قد استفاد أكثر اللغويين من عبارات كـ«نقيض الكدر»، و«ضد الكدر» و«خلاف الكدر» لتبيين معنى هذه المادة [١١].

وهذه المادة في باب الافتعال تدلّ على جعل الخالص وتناول الخالص من الشيء[١٢].

نظرًا لمعنيي القصد والاختيار في باب الافتعال، رأى المصطفوي أن معنى «الاصطفاء» هوالاختيار خلوصًا والذي فيه القصد والاختيار [١٣].

لذا يمكن الاستنتاج أن الاصطفاء تدلّ على اختيار الشيء لطهارته الذاتية وتختلف عن كلمات، مثل: الاختيار والاجتباء و...، وذلك معنى قد ذكره بعض المفسرين بصراحة أيضًا[١٤].

وعند النظر إلى استعمال كلمة «الاصطفاء» ومشتقاتها في القرآن، يمكن دراستها من جهتين للاهتمام بكل واحدة منهما بدورها وأثرها في الفهم المراد من هذه الكلمة.

المطلب الأول: متعلق الاصطفاء.

أول ميزة لهذه الكلمة هو متعلّقها اذ يكون في بعض المواضع الدين: {إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} سورةالبقرة الآية ١٣٢، وفي البعض الآخر الرسل من

الملائكـة والنـاس: {اللهُ يَصْطَفـي مِـنَ الْمَلائِكَةِ رُسُـلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصيرٌ} سورة الحج الآيـة ٧٥ ، متعلقًـا لها. وفي بعـض المواضع أيضًا تتعلّق باختيار شـخص للحكـم على الناس: {قالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفـاهُ عَلَيْكُـمْ وَزادَهُ بَسْـطَةً فِـي الْعِلْمِ وَالْجِسْـمِ} سـورة البقرة الآية ٢٤٧، وتارة تشير إلى اختيار شيء من المخلوقات: {وْ أَرادَ اللهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَـداً لاَصْطَفـى مِمَّا يَخْلُقُ ما يَشـاءُ سُـبْحانَهُ هُوَ اللهُ الْواحِـدُ الْقَهَّار} سـورة الزمر الآيـة ٤، مع ذلك، أكثر استعمالها يتعلق باصطفاء الأنبياء وعباد الله المخلصين، بما فيها الآيات التالية: {وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْراهيمَ إِلَّا مَنْ سَـفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْناهُ فِـي الدُّنْيا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحينَ} سـورة البقـرة الآيـة ١٣٠، و {وَإِذْ قالَـتِ الْمَلائِكَـةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفـاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفاكِ عَلى نِسـاءِ الْعالَمِيـنَ} سـورة آل‌عمـران الآيـة ٤٢، و {قـالَ يا مُوسـى إِنِّـي اصْطَفَيْتُكَ عَلَـى النَّاسِ بِرِسـالاتي وَبِكَلامي فَخُذْ ما آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرينَ} سورة الأعراف الآية ١٤٤، و {قُلِ الْحَمْدُ لِله وَسَلامٌ عَلى عِبادِهِ الَّذينَ اصْطَفى اللهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ} سورة النمـل الآيـة ٥٩، و {وَإِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِـنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيارِ} سورة ص الآية ٤٧.

المطلـب الثانـي: «الاصطفاء» فـي البنية النحوية.

النقطة الثانية اللافتـة للنظر في تحليل مفهوم «الاصطفـاء» هي دورها وموقعها في الآية وهو ثلاثة أشكال وفق استعمال الفعل:

تـارةً اسـتعملت كلمة «الاصطفاء» بشـكل مطلـق ومن دون حـرف جرّ في الآيـة، كما في الآية الـ١٣٠ من سـورة البقرة: «وَمَـنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْراهيمَ إِلَّا مَنْ سَـفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْناهُ فِـي الدُّنْيـا وَإِنَّـهُ فِي الْآخِـرَةِ لَمِـنَ الصَّالِحينَ»، والاسـتعمال الأول فـي: {وَإِذْ قالَـتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَـمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفاكِ وَطَهَّـرَكِ وَاصْطَفاكِ عَلى نِساءِ الْعالَمينَ} سورة آل‌عمران الآية ٤٢ ، واستعملت الاصطفاء مطلقًا في الآية الـ١٣٢ من سـورة البقرة والآية ٤٧ ، من سورة ص أيضًا.

وتارة أخرى قد ذكر حرف «مِن» الجارّة بعد كلمـة «الاصطفاء»: {لَـوْ أَرادَ اللهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً لاَصْطَفى مِمَّا يَخْلُقُ ما يَشاءُ سُبْحانَهُ هُوَ اللهُ الْواحِدُ الْقَهَّار} سورة الزمر الآية ٤، وكذلك في الآية الـ٧٥ من سورة الحجّ والآية الـ٣٢ من سورة فاطر.

وتـارة ثالثة قد اسـتعملت كلمة «الاصطفاء» مـع حرف «على» الجـارة: {إِنَّ اللهَ اصْطَفى آدَمَ وَنُوحـاً وَآلَ إِبْراهيمَ وَآلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمينَ}، و {... وَاصْطَفـاكِ عَلـى نِسـاءِ الْعالَمِيـنَ} سـورة آل‌عمران الآية ٣٣و ٤٢.

وبإمعـان النظـر فـي الاسـتعمالات اللغوية لـ«ـلاصطفاء» ومحتوى الآيات المذكورة أعلاه، يمكن أن يقال: إذا اسـتعملت كلمة «الاصطفاء» مطلقًا، فخلوص وصفوة ذات الشيء أو الشخص المصطفـى موضـع الاهتمـام، والإطـلاق هـذا مقصـود من كل جانـب، على سـبيل المثال، في هذه الآية: {قُلِ الْحَمْدُ لِله وَسَـلامٌ عَلى عِبادِهِ الَّذينَ اصْطَفى اللهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ} سورة النمل الآية ٥٩، المـراد والمقصود هو عـدم اختلاط هؤلاء العباد ومزجهم بأي شائبة من الكفر والشرك والمعصية و...؛ لأنـه لـو لم يكـن هكذا، فلا فائـدة لإضافة عبـارة «الّذيـن اصطفـى» بعد «عبـاده»، بينما يبيّـن هذا القيد (اسـم الموصـول وصلته) الصفة الخاصـة بهؤلاء العباد. كما أنّه في الآيات الآتية: {وْ أَرادَ اللهُ أَنْ يَتَّخِـذَ وَلَـداً لاَصْطَفـى مِمَّا يَخْلُقُ

ما يَشَاءُ سُبْحانَهُ هُوَ اللهُ الْواحِدُ الْقَهَّار} سورة الزمر الآية ٤، و {اللهُ يَصْطَفي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ سَميعٌ بَصيرٌ} سورة الحج الآية ٧٥، و {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا} سورة فاطر الآية ٣٢. في هذه الآيات، قد ذكر حرف «مِن» الجارة البيانية بعد كلمة الاصطفاء حتّى يبيّن محل الشيء و موضعه أو الشخص الذي تم اصطفاؤه، ولولاه، لاستعملت «الاصطفاء» مطلقًا دون الحرف الجارّ،أما إذا جاء حرف «على» الجارّ بعد «الاصطفاء»، فالغرض بيان ميزة وصفة يتّصف بها الشخص المصطفى بالنسبة إلى الآخرين. ومن ثَمّ، إن أكثر المفسرين بيّنوا وجه أفضلية الشخص المصطفى على الآخرين عند تفسير الآيات التي استعملت «الاصطفاء» مع حرف «على». كما أن بعض المفسرين قالوا: إنَّ «على» إذا جاءت بعد كلمة «الاصطفاء»، تضمّنت معنى «فَضَّلَ»، وإذا لم يقصد معنى التفضيل فيها، استعملت مع «مِن»[١٥] يدلّ هذا القول على أنّه إذا قصدت الآية بيان صفوة الشخص أو الأشخاص على الآخرين وذكرت «الاصطفاء» مع «على»، فهذه الأفضلية يمكن أن تكون في امتلاك ميزة أو ميزات خاصة، وذلك هو النقطة التي يهتمّ بها عند التفضيل بين الشيئين أو الشخصين، بينما لا يدلّ استعمال «الاصطفاء» مطلقًا إلا على أفضلية الشخص أو الشيء على غيره، وذلك للاهتمام بخلوص ذات الشخص والشيء، وعلى ذلك، يجب أن يقال: إذا استعملت مفردة «الاصطفاء» مطلقًا، لم تدلّ إلا على اصطفاء الشخص، لكن هذا الاصطفاء لا يدلّ على طرد الأفراد الآخرين ويمكن أن يتعرض الأشخاص الآخرون للاصطفاء لطهارتهم وخلوصهم الذاتي، أمّا إذا استعملت «الاصطفاء» مع حرف «على» الجارة، تمّ الاهتمام بضرب من الأفضلية والتمايز للمصطفين، إضافة إلى معنى الاصطفاء لديهم، لذا سعى المفسرون في تحليل هذه الآيات وراء تبيين ميزات المصطفى لاسيما التي ستأتي فيما بعد، إضافة إلى إشارتهم إلى عصمة المصطفى.

في الجملة، إذا استعملت كلمة «الاصطفاء» مع حرف «على» ، دلّت على «الاصطفاء» واتصاف المصطفى أو المصطفين بصفات خاصة، وهي صفات لا تستلزم أفضلية المصطفى أو المصطفين بالنسبة إلى الآخرين؛ لأنّ الميزة والصفة الخاصة إن لم تتجذّر في خصائص الشخص وفضائله، فلا يمكن اعتبارها عامل الأفضلية بمجرد كونها ميزة خاصة.

المبحث الثالث : «الاصطفاء» .

المطلب الأول: اصطفاء آل‌عمران .

يؤكد أكثر المفسرين في تفسير «الاصطفاء» في الآية الـ٣٣ من سورة آل‌عمران على أنه لا يقع ولا يطلق إلا على الشخص المعصوم أي من يكون ظاهره وباطنه مثلين في الطهارة والعصمة [١٦].

وبعض باحثي القرآن وإن لم يصرّحوا بدلالة «الاصطفاء» على العصمة، لكن سألوا: هل تنافي معصية آدم (ع)اصطفاءه أم لا؟ وقاموا بتبرير الموضوع والجمع بين الآيات،على ذلك، إنّ طرح هذا السؤال والسعي لتبرير تصرّف

آدم (ع)وتحليلــه ينمّ عن قبول مفهوم العصمة في كلمــة «الاصطفاء» [١٧] والمجموعة الأخرى من المفســرين، وإن لم يشــيروا إلــى علاقة العصمة والاصطفاء، لكن نفوا فضيلة ســائر الأنبياء على نبي الإســلام (ص) وذلك بسبب وجود قيد «على العالمين» في نهاية الآية[١٨].

لــذا يمكن أن نســتنتج بأنهــم افترضوا وجود العصمة لســائر الأنبياء الإلهيــة، وإلا فلا يحتاج عــدم أفضلية غير المعصوم علــى المعصوم إلى بيان، بل بوجود العصمة لدى جميع الأنبياء يمكن تبريــر نفي تســاويهم بالأدلة الأخــرى، والبعض منهم أشــاروا إلى وجود معنــى الأفضلية في هذه الآية بالإشــارة إلى وجود حــرف «على» الجارّة بعد مادة «الاصطفاء» فيها [١٩].

وذلــك ينــمّ وجود معنــى «الاصطفــاء» مع «التفضيل» لكلمــة الاصطفاء. ويؤدّي قبول هذا المعنى إلى عرض أدلّــة اصطفاء آدم ونوح و... في التفاســير المتنوعة، بمــا فيها أنّ آدم (ع) أول مخلــوق من نوع البشــر علّمه الله الأســماء كلها وأمــر الملائكة بالســجدة له وأســكنه فــي جنّته، وكان آدم (ع) أوّل مــن فتح باب التوبة له، وأول من تمّ تشــريع الدين لــه، وكان أول موجود خلقه الله وأحســن خلقــه، وذكرت أدلة لنــوح (ع)، بما فيها أنّ نوحًا (ع) أول نبيّ من الأنبياء أولي العزم الخمسة الذين أنزل عليهم الكتاب والشريعة وأنه من اســتجيب دعاؤه في المؤمنيــن والكفار، وأنه أول من نســخ الشــرائع الســابقة، وتعود أفضلية آل‌إبراهيــم(ع) إلــى أنه «أبو الأنبيــاء» و«خليل الرحمــن» الذي أنجاه الله من النــار وجعله إمامًا للنــاس، وابتــلاه بأمور هامّة وأتمّ جميعها بشــكل حســن، أما فيما يتعلق بفضيلــة آل‌عمران، فنظرًا لاعتبار عمران أبا موســى (ع) أو أبا مريم (ع)، فقد ذكرت آراء وأقوال مختلفة[٢٠].

فــي تلخيص آراء المفســرين عنــه هذه الآية يمكن لنا أن نســتنبط أنهم اعتبروا «الاصطفاء» بمعنــى «الاختيار» وعــدّوا العصمــة ملازمتها الدائمة. ومن ثمّ كما سبق، إن بعضًا منهم صرّحوا بذلك وبعضهم اعتبروه من المسلّم وقاموا بتبرير ترك الأولى أو معصية بعض من الأنبياء، بينما لم يقدّم أحد من المفسّــرين دليلًا آخر لأثبات عصمة الأنبياء إضافــة إلى مضمون هــذه الآية، بالطبع بعضهــم طرحــوا معنى «التفضيــل» إضافة إلى معنى «الاختيار» لـ«الاصطفاء»، وســعوا وراء ذكر وجوه الأفضلية للأنبياء المذكورين في الآية بالنســبة إلى الآخرين، وذلك بسبب وجود عبارة «على العالمين» بعد «الاصطفاء».

نظــرًا لما ذكــر آنفًا فــي تحليل اســتعمالات «الاصطفــاء» وكذلــك علمًــا لآراء المفســرين فــي تحليل الآيــة ال٤٠ مــن ســورة آل‌عمران، نتوقع أنّ مفسّــري القرآن اهتمّــوا بتبيين «الميزة الخاصــة» أو «الأفضليــة» في الآيــة الـ٤١ إلى الـ٤٣ من هذه الســورة والتــي تطرقت إلى قصة ولادة عيسى (ع)و...، بينما لا نشاهد هذا التفريق من قبل المفســرين، ولهم من الغفلة في هذا الأمر مــا يدفعهم أن يقولــوا أقوالاً متنوعــة في تحليل: {وَإِذْ قالَــتِ الْمَلائِكَــةُ يــا مَرْيَــمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفاكِ عَلى نِســاءِ الْعالَمينَ} سورة آل‌عمــران الآية ٤٢: وقلّمــا اعتنوا باختلاف بنية «الاصطفاء» فيها، بالإشــارة إلى آراء المفسّرين في تحليل الآية الــ٤٢، نحاول فيما يلي أن نفرّق بين صفات عيسى (ع)وفضائله.

المطلب الثاني: اصطفاء مريم ـ سلام الله عليها ـ

تأتي الآية الـ٤٢ لسورة آل‌عمران بعد الآيات التي تشير إلى ولادتها وتوقّع زوجة عمران عن مولودها [٢١]، وبعد ذكر اصطفاء مريم (ع)، يرى بعض المفسرين أن مراد القرآن بالاصطفاء قبول نذر أمّها ـ أي خدمتها في بيت المقدّس ـ، وتمتعها بأرزاق الجنة والأمور الأخرى المتناسبة مع هذه الآيات، ونظرًا إلى: «يا مَرْيَمُ اقْنُتي لِرَبِّكِ وَاسْجُدي وَارْكَعي مَعَ الرَّاكِعين» سورة آل‌عمران الآية ٤٣، يرى البعض الآخر أنّ الاصطفاء يدلّ على وقوعها في مجموعة المصلين والقائمين و... . من جهة قد حملت مريم(ع) بشكل غير متعارف: {وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرانَ الَّتي أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَنَفَخْنا فيهِ مِنْ رُوحِنا وَ...} سورة التحريم الآية ١٢ ووهبها الله ابنًا من دون زوج: {قالَتْ أَنَّى يَكُونُ لي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْني بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا} سورة مريم الآية ٢٠، ومن جهة أخرى، لم يكن له أب وله مقام النبوّة في بداية لحظات لقائه للناس إذ تكلم معهم في المهد وأعلن نبوته: {قالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتانِيَ الْكِتابَ وَجَعَلَني نَبِيًّا} سورة مريم الآية ٣٠. وعلى ذلك، ونظرًا لما لهذه الميزة من أهمية خاصة، رأى كثير من المفسّرين أن الاصطفاء يشير إلى حمل الولد دون الأب والتطهير من الفواحش و ...[٢٢].

ولكن بالنظر إلى النقاط المذكورة آنفًا وبالنظر إلى الإشارة إلى اصطفاء مريم (ع) مرتين في هذه الآية: في الأولى مطلقًا ومعطوفًا عليه عبارة «طهّرك» وفي الثانية مقيّدًا بـ«على»، يمكن أن نستنتج أن الاصطفاء الأول يثبت جميع شؤون الشخص المصطفى سواء كانت الطهارة الباطنية أو الخلوص من أي اختلاط بالكدورة والشوائب المختلفة مما يمكن عده عصمة، وأن الاصطفاء الثاني الذي استعمل مع عبارة «على العالمين»، يشير إلى ميزات وصفات تدلّ على أفضلية مريم ـ سلام الله عليها ـ إضافة إلى اختيارها، سواء كانت تلك الميزات والصفات لاسيما ككونها من المصلين وخدمتها في بيت المقدّس و... أو مشتركة بينها وبين نساء أخريات كآسية وخديجة وفاطمة الزهراء (ع). ومن ثَمّ، حمل بعض المفسّرين الاصطفاء الأول على طهارة مريم الباطنية وعصمتها [٢٣].

وعده البعض الآخر اختيار مريم الذاتي الذي يدلّ على العصمة [٢٤]، والجدير بالذكر أنّ للعصمة درجات مختلفة كما بيّنها المتكلمون، وعلى ذلك، لا يدلّ إثبات العصمة لمريم (ع) على تساوي درجتها مع باقي المعصومين، بل إنّ إثبات الأفضلية لمعصوم على المعصومين الآخرين يحتاج إلى التبيين والتحليل. ومن ثمّ، قد أشار بعض المفسّرين إلى أفضلية فاطمة الزهراء (ع) بالاستناد إلى الروايات والأحاديث عند تحليل هذه الآية [٢٥].

المطلب الثالث : اصطفاء عيسى المسيح(ع).

كما مـرّ آنفًا، إنّ للقـرآن الكريم اتجاهين في تعريف عيسـى (ع): إثباتي وسـلبي؛ ينقد وينفي العقائـد الباطلة المكونة حوله من جهة ومن جهة أخـرى يهتم بتبين شـخصيته الحقيقيـة، الصفات المذكورة له في سـورة آل‌عمران من الآية الـ٤٢ إلى الآية الـ٦٣ هي: كون عيسـى (ع) وجيهًا في الدنيا والآخرة، وتكلمه مع الناس في المهد وكهلًا، وكونـه مـن الصالحين، واطلاعه علـى الحكمة والتـوراة والإنجيـل، وبعثـه إلى بني إسـرائيل، وقدرته علـى الإتيان بآيات مختلفـة (خلقه طيرًا من الطين والنفخ فيه بإذن الله، وشـفاؤه المرضى وإحياؤه الموتى بإذن الله، واطلاعه على الأطعمة وما في بيوت الناس)، وتصديقه بالتوراة، وإبلاغ الأحـكام الجديـدة، ورفعـه إلـى الله ونجاته من الكافريـن، وغلبة أتباعـه الدائمة على الكافرين، وخلقته كخلقة آدم (ع).

مـن بيـن هـذه الصفـات، إن كونـه وجيهًا، واطلاعه على الحكمة والتوراة والإنجيل، وبعثه إلى بني إسـرائيل و... تشير إلى صفات مشتركة بينـه وبين بعض الأنبيـاء والأولياء ممـا تمتعوا بها فترة رسـالتهم. وذلك لا يدلّ على أنّ رسـالة عيسـى (ع) مساوية مع رسـالة الأنبياء الآخرين فـي الدرجـة أو لا يسـتلزم تسـاوي الأنبيـاء في المعجـزات، بل يجب أن يقال: إن اكتسـاب مقام النبوّة والرسالة أو التمكن من الإتيان بالمعجزات تـدلّ على طهارته الذاتية، غيـر أن كلّ واحد من الأنبياء أتى بمعجزات خاصة، على سبيل المثال، كان شـفاء المرضـى وإحيـاء الموتـى و... من معجزات عيسـى الخاصة به، وتبديل العصا إلى الثعبـان واليد البيضاء و... من معجزات موسـى الخاصة به، وإن كانت بعض المعجزات مشتركة بين الأنبياء.

الخاتمة

نظـرًا إلى النقـاط المذكورة آنفًا، نسـتنتج أن الاسـتعمالات اللغويـة لمـادة «الاصطفـاء» في الآيـات المختلفة تدلّ على معنييـن مختلفين لهذه الكلمة؛ لأنّ الاصطفاء إذا اسـتعملت مع «على» الجـارّة، تدلّ على الاصطفاء في امتلاك الميزات والصفات الخاصة، أما إذا استعمت مطلقة أو مقيدة بـ«من» الجارة، فتثبت الأفضلية والطهارة الذاتية لـدى متعلقها، لذا لا ينبغـي اعتبار «الاصطفاء» مسـاوية مع الأفضليـة؛ لأنّ «الأفضلية» تشـير إلـى أرفعيـة المصطفـى، أمـا الاصطفـاء فـلا تـدل إلا على خصوصيـة قد يتمتع بهـا قليل من الآخرين وقد لا يمتلكها شـخص آخر،على ذلك، إنّ الاصطفـاء الأول لمريـم (ع) في الآية الـ٤٢ لسـورة آل‌عمران يدلّ علـى عصمتها وفضيلتها على النسـاء الأخريات، والاصطفاء الثاني المقيّد بـ«علـى العالميـن» يشـير إلى صفاتها بالنسـبة إلـى النسـاء الأخريـات. أما في الآيـة الـ٣٣ من السـورة نفسها، فقد تم الاهتمام بميزات آل‌عمران وصفاتهم فقط ومن ثَمّ، برغم أن أكثر المفسـرين لم يتطرّقوا إلى بيان وجوه الاسـتعمالات اللغوية لمـادة «الاصطفاء»، ولكن سـعوا كثيـرًا وراء بيـان صفات الأنبيـاء المذكورين فـي هذه الآية. وذلـك نقطة مهمـة تدفعنا إلى التمييـز بين النقاط المذكـورة عنـه المسـيح (ع) فـي هذه السـورة والسور القرآنية الأخرى، والتفريق بين الصفات الدالّة على اصطفاء المسيح (ع) والصفات الدالة على أفضليته.

الهوامش

١- بلاغي النجفي، ١٤٠٥: ٣٢٨/١

٢- البقرة: ٨٧، و١٣٦، و٢٥٣، وآل‌عمران: ٤٥، و٥٢، و٥٥، و٥٩، و٨٤، والنساء: ١٥٧، و١٦٣، و١٧١، والمائدة: ٤٦، و٧٨، و١١٠، و١١٢، و١١٤، و١١٦، والأنعام: ٨٥، ومريم: ٣٤، الأحزاب: ٧، والشورى: ١٣، والزخرف: ٦٣، والحديد: ٢٧، والصفّ: ٦ و ١٤.

٣- آل‌عمران: ٤٥، والنساء: ١٥٧، و١٧١، و١٧٢، والمائدة: ١٧، و٧٢، و٧٥، والتوبة: ٣٠ و٣١.

٤- البقرة: ٨٧ و ٢٥٣، وآل‌عمران: ٣٦، و٣٧، و٤٢، و٤٣، و٤٤، و٤٥، والنساء: ١٥٦، و١٥٧، و١٧١، والمائدة: ١٧، و٤٦، و٧٢، و٧٥، و٧٨، و١١٠، و١١٢، و١١٤، و١١٦، والتوبة: ٣١، مريم: ١٦، و٢٧، و٣٤، والمؤمنون: ٥٠، والأحزاب: ٧، والزخرف:٥٧، والحديد: ٢٧، والصفّ: ٦ و ١٤، والتحريم: ١٢.

٥- باترونوس، ١٣٧٣: ٨٥ .

٦- آشتياني، ١٣٦٨: ص ٥٢.

٧- صرصري، ١٤١٩: ٣٤٣/١.

٨- كذلك الآية الـ٨٧ والآية الـ٢٥٣ من سورة البقرة: «وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَقَفَّيْنا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنا عيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ وَأَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَ فَكُلَّما جاءَكُمْ رَسُولٌ بِما لا تَهْوى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ»، «تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجاتٍ وَآتَيْنا عيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ وَأَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ وَلكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ ما يُريدُ».

٩- «إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ».

١٠-ابن فارس، ١٤٠٤: ٢٩٢/٣، والفراهيدي، ١٤٠٩: ١٦٢/٧.

١١- المصدر السابق، وابن دريد، ١٩٨٨: ٨٩٣/٢، والصاحب، ١٤١٤: ١٩٧/٨، وابن منظور، ١٤١٤: ٤٦٢/١٤، والزبيدي، ١٤١٤: ٦٠١/١٩

١٢- الراغب، ١٤١٢: ٤٨٧، وابن سيدة، ١٤٢١: ٣٨١/٨، والفراهيدي، ١٤٠٩: ١٦٢/٧

١٣- مصطفوي،١٤٣٠: ٣١٣/٦.

١٤- فضل الله، ١٤١٩: ٣٤٣/٥.

١٥- الأندلسي، ١٤٢٠: ١١٠/١٣، والقرشي، ١٣٧٧: ٦٢/٢، وابن‌عاشور، د.ت: ٩٥/٣، وحسيني شيرازي، ١٤٢٣: ٦٦، وفضل الله، ١٤١٩: ٣٤١/٥.

١٦- حسيني أسترآبادي، ١٤٠٩: ١١٢، والنجفي، ١٣٩٨: ٢٦٠/٢، وحسيني شاه‌عبدالعظيمي، ١٣٦٣: ٩٤/٢، والفيض الكاشاني، ١٤١٥: ٣٢٩/١، والطبرسي،١٣٧٧: ١٦٩/١، وصدر الدين الشيرازي، ١٣٦٦: ١١٤/٣، والمغنية، د.ت: ٦٨، وسبزواري النجفي، ١٤٠٦: ٤٤/٢، وشبر، ١٤٠٧: ٣١٣/١، وأبوالفتوح الرازي، ١٤٠٨: ١١٥/١٦، والعاملي، ١٤١٣: ٢٣٣/١.

١٧- البروجردي، ١٤١٦: ٣٩٧/٥، والفيض الكاشاني، ١٤١٥: ١٢٢/١، والبروجردي، ١٣٦٦: ٣٠٨/٤، والعاملي، ١٣٦٠: ١٣٣/٦، والمدرسي، ١٤١٩: ٢٤٥ /٧.

١٨- جعفري، د.ت: ٢٠/١، والشوكاني، ١٤١٤: ٩٧/١، وصادقي الطهراني، ١٤١٩: ٥٤، والزمخشري، ١٤٠٧: ٤٨/٢.

١٩- الأندلسي، ١٤٢٠: ١١٠/١٣، والقرشي، ١٣٧٧: ٦٢/٢، وابن عاشور، د.ت: ٩٥/٣، وحسيني شيرازي، ١٤٢٣: ٦٦.

٢٠- انظر إلى المصادر السابقة وإلى: الطباطبايي، ١٤١٧: ١٦٥/٣، والسمرقندي، د.ت: ٢٠٧/١، وأبي الفتوح الرازي، ١٤٠٨: ٢٨٥/٤، وفضل الله، ١٤١٩: ٣٤١/٥.

٢١- «إِذْ قالَتِ امْرَأَتُ عِمْرانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ ما في بَطْني مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّميعُ الْعَليمُ * فَلَمَّا وَضَعَتْها قالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُها أُنْثى وَاللهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثى وَإِنِّي سَمَّيْتُها مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعيذُها بِكَ وَذُرِّيَّتَها مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجيمِ* فَتَقَبَّلَها رَبُّها بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَها نَباتاً حَسَناً وَكَفَّلَها زَكَرِيَّا كُلَّما دَخَلَ عَلَيْها زَكَرِيَّا الْمِحْرابَ وَجَدَ عِنْدَها رِزْقاً قالَ يا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هذا قالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ» (آل عمران: ٣٥ ـ ٣٨).

٢٢-الطوسي، د.ت: ٤٥٦/٢، والطبري، ١٤١٢: ١٨٠/٣، والقرطبي، ١٣٦٤: ٨٣/٤، والطبرسي، ١٣٧٧: ١٧٤/١، وابن جزي، ١٤١٦: ١٥٢/١، والثعالبي، ١٤١٨: ٤٣/٢، والآلوسي، ١٤١٥: ١٤٩/٢، والشوكاني، ١٤١٤: ٣٨٨/١، والبيضاوي، ١٤١٨: ١٧/٢، والثعلبي النيسابوري، ١٤٢٢: ٦٧/٣، والفيض الكاشاني، ١٤١٥: ٣٣٦/١، وصادقي الطهراني، ١٤١٩: ٥٥، والمغنية، ١٤٢٤: ٥٦/٢، والزحيلي، ١٤١٨: ٢٢٥/٣، والطنطاوي، د.ت: ١٠٢/٢، والمراغي، د.ت: ١٥١/٣، وطيب، ١٣٧٨: ١٩٣/٣.

٢٣- طيب، ١٣٧٨: ١٩٣/٣.

٢٤- ابن عاشور، د.ت: ٩٥/٣، وحسيني شيرازي، ١٤٢٣: ٦٦، والمظهري، ١٤١٢: ٤٨/٢، وكذلك القرطبي، ١٣٦٤: ٨٣/٤، وصادقي الطهراني، ١٤١٩: ٥٥، والطنطاوي، د.ت: ١٠٢/٢.

٢٥- الآلوسي، ١٤١٥: ١٥٠/٢، وسبزواري النجفي، ١٤٠٦: ٥٤/٢، وصادقي الطهراني، ١٣٦٥: ١٣٠/٥.

المصادر

القرآن الكريم.

١- آشتياني، جلال الدين، التحقيق في دين المسيح، مؤسسة نكارش للنشر، ١٣٦٨ش.

٢- الآلوسي، سيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ق.

٣- الأندلسي، ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠ق.

٤- ابن جزيّ، محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل، دار أرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٤١٦ق.

٥- ابن دريد، محمد بن حسن، جمهرة اللغة، دار الكتب للملايين، بيروت، ١٩٨٨م.

٦- ابن سيده، علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١ق.

٧- ابن عاشور، محمد بن طاهر، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ، بيروت، د. ت.

٨- ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤٠٤ق.

٩- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٤١٤ق.

١٠- أبو الفتوح الرازي، حسين بن علي، روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن، مشهد، ١٤٠٨ق.

١١- بروجردي، سيد محمد إبراهيم، تفسير جامع، مؤسسة صدرللنشر، طهران، ١٣٦٦ش.

١٢- بروجردي، سيد حسين، تفسير الصراط المستقيم، مؤسسة أنصاريان، قم، ١٤١٦ق.

١٣- بلاغي، محمدجواد، الهدى إلى دين المصطفى، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٠٥ق.

١٤- البيضاوي، عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨ق.

١٥- باترونوس،جرج، المسيح في قرآن، الترجمة:محمد قالیباف خراساني، مجلة نامه فرهنگ، سنة ١٣٧٣ش، العدد الـ١٦، ص ٨٢ إلى ٨.

١٦- الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد، جواهر الحسان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨ق.

١٧- الثعلبي النيسابوري، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢ق.

١٨- جعفري، يعقوب، تفسير كوثر، مؤسسة هجرت للنشر، قم، د.ت.

١٩- حسيني أسترآبادي، سيد شرف الدين علي، تأويل الآيات الظاهرة، مؤسسة جماعة المدرسين بالحوزة العلمية، قم، ١٤١٩ق.

٢٠- حسيني شيرازي، سيد محمد، تبيين القرآن، دار العلوم، بيروت، ١٤٢٣ق.

٢١- حسيني شاه عبد العظيمي، حسين بن أحمد، تفسير اثنا عشري، مؤسسة ميقات للنشر، طهران، ١٣٦٣ش.

٢٢- الراغب الأصفهاني، حسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، بيروت، ١٤١٢ق.

٢٣- الزبيدي، مرتضى محمد بن محمد، تاج العروس، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤ق.

٢٤- الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر، بيروت، ١٤١٨ق.

٢٥- الزمخشري، محمود، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتب، العربي، بيروت، ١٤٠٧ق.

٢٦- السبزواري النجفي، محمد بن حبيب الله، الجديد في تفسير القرآن المجيد، دار التعارف، بيروت، ١٤٠٦ق.

٢٧- السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد، بحر العلوم، دار الفكر، بيروت، د.ت.

٢٨- شبر، سيد عبد الله، الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين، مكتبة الألفين، الكويت، ١٤٠٧ق.

٢٩- الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، ١٤١٤ق.

٣٠- الصاحب، إسماعيل بن عباد، المحيط في اللغة، نشر عالم الكتب، بيروت، ١٤١٤ق.

٣١- صادقي تهراني، محمد، البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، قم، ١٤١٩ق.

٣٢- الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، مؤسسة فرهنگ إسلامي للنشر،قم، ١٣٦٥ش.

٣٣- صدر الدين شيرازي، محمد بن إبراهيم، تفسير القرآن العظيم، مؤسسة بيدار للنشر، قم، ١٣٦٦ش.

٣٤- الصرصري الحنبلي، سليمان، الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٩ق.

٣٥- الطباطبايي، سيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، جامعه مدرسين حوزه علميه قم، ١٤١٧ق.

٣٦- الطبرسي، فضل بن حسن، جوامع الجامع، منشورات جامعة طهران، طهران، ١٣٧٧ش.

٣٧- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٢ق.

٣٨- الطنطاوي، سيد محمد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار النهضة، القاهرة، د.ت.

٣٩- الطوسي، محمد بن حسن، التبيان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

٤٠- طيب، سيد عبد الحسين، أطيب البيان في تفسير القرآن، مؤسسة اسلام للنشر، طهران، ١٣٧٨ش.

٤١- عاملـي، إبراهيـم، تفسـير عاملي، مؤسسـة صدوق للنشر، طهران، ١٣٦٠ش.

٤٢- عاملـي، علي بن حسـين، الوجيز في تفسـير القرآن العزيز، دار القرآن الكريم، قم، ١٤١٣ق.

٤٣- الفراهيدي، خليل بن أحمد، كتاب العين، نشر هجرت، قم، ط٢، ١٤٠٩ق.

٤٤- فضل الله، السـيد محمد حسين، من وحي القرآن، دار الملاك، بيروت، ط٢، ١٤١٩ق.

٤٥- الفيـض الكاشـاني، مـلا محسـن، تفسـير الصافي، مؤسسة الصدرللنشر، طهران، ١٤١٥ق.

٤٦- قرشي، سيد على أكبر، تفسير أحسن الحديث، مؤسسة بعثت للنشر، طهران، ١٣٧٧ش.

٤٧- القرطبـي، محمد بـن أحمد، الجامع لأحـكام القرآن، مؤسسة ناصر خسرو للنشر، طهران، ١٣٦٤ش.

٤٨- المراغـي، أحمد بن مصطفى، تفسـير المراغي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

٤٩- مدرسي، سيد محمد تقي، من هدى القرآن، دار محبي الحسين، طهران، ١٤١٩ق.

٥٠- المصطفـوي، حسـن، التحقيـق فـي كلمـات القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٣٠ق.

٥١- المظهري، محمد ثناء الله، التفسير المظهري، المكتبة الرشدية، باكستان، ١٤١٢ق.

٥٢- المغنيـة، محمد جواد، تفسـير الكاشـف، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٤٢٤ق.

٥٣- نجفي، محمد جواد، تفسـير آسـان، مؤسسـة اسلامية للنشر، طهران، ١٣٩٨ق.

Rereading the reasons for «Al-Imran» to be referred to as chosen people from the perspective of the Qur'an with an emphasis on the issue of «istafa» of Mary and Jesus (peace be upon them)

Assistant Professor Davoud esmaely

Assistant Professor Ali Banaeian Esfahani

department of Quran and Hadith sciences, University of Isfahan, Iran

Analyzing and examining the verses of the Qur'an based on the known rules to interpret and understand the text is one of the essential requirements of the research in this field in such a way that the interpretive identity of the text is organized with it and the lack of this characteristic challenges any interpretation of the text.

In the meantime, paying attention to the principles and rules of interpretation such as context, structure and lexical meanings is very important. In the upcoming research, the story of Mary (pbuh) and Christ (pbuh) in the Qur'an is reread with the focus of Surah Al-Imran, and while analyzing the key word «istafa» in the verses of this surah, it is stated that «being chosen by God» cannot be considered equal to «superiority» because «superiority» refers to a person being higher, but «being chosen» refers to the allocation of a person to have a characteristic that sometimes few other people also benefit from that characteristic and sometimes no other person has that characteristic, so the characteristics of the «chosen person» is not necessarily the reason for his superiority over others, although its source can be considered his inherent superiority; of course, the inherent superiority indicates the inherent innocence and purity. Therefore, the analysis of the Qur'an sometimes explains the characteristics of Mary (PBUH) or Christ (PBUH) and sometimes points to their inherent purity and superiority; a point that can be achieved according to the literary structure of the word «istafa».

Keyword: Maryam (pbuh), Messiah (pbuh), Jesus (pbuh), istafa, being chosen, superiority.